

طرق حشد الرأي العام وأهميته

Ways to mobilize public opinion and its importance

أ.د/ يوسف تمار

كلية علوم الإعلام والاتصال – جامعة الجزائر 3 (الجزائر)

تاريخ الاستلام: 2023/04/25 ؛ تاريخ المراجعة: 2023/06/15 ؛ تاريخ القبول: 2023/06/18

ملخص:

الرأي العام قوة من قوى المجتمع و أساس من أسسه، فحضوره دائم في تفاعل مكونات الأنظمة الاجتماعية سواء تمظهر أم كان خفياً، فقد اعترف جورج بيردو Burdeau George بأن الرأي العام "جزء من الظواهر الاجتماعية بصفة بديهية"، لكن من الناحية المعرفية، يُعد الرأي العام من أكثر المفاهيم تعقيداً و أقلها فهماً، ذلك أنه يرتبط بمعتقدات الأفراد المكونين له و مدركاتهم بل و سلوكهم أيضاً، أي المتغيرات التي شكلت و لعهد طويل مواضيع بحث للكثير من المجالات المعرفية لمحاولة فهمها و تفسيرها، فعن أي شيء نتحدث عندما نذكر الرأي العام؟ و إذا فهمنا هذه الظاهرة، كيف يمكن حشدها لخدمة الصالح العام؟ لا تستطيع الحياة السياسية في الأنظمة الحديثة الاستقرار دون مساندة الرأي العام و العمل على حشده للقرارات الصادرة عن النظام السياسي، فهو مصدر أساسي لشرعية تلك القرارات، و عنصر أساسي أيضاً في ممارسة السلطة و ضمان المشاركة السياسية للمواطن، "لأن السياسات العامة تحتاج إلى دعم و تعاون عدد كبير من أفراد الشعب، و يبدو هذا أوضح في أوقات الأزمات و الحروب، و حتى في أوقات السلم تحتاج السلطة السياسية إلى دعم الرأي العام بصورة واسعة لإنجاز سياسات عديدة داخلية و خارجية .. و غيرها. وهذه مشكلة كل الحكومات على السواء"، لكن الرأي العام لا ينشأ من ثنايا القضايا السياسية فحسب كما يظن البعض، بل قد نجده أيضاً حول القضايا الاجتماعية أو الاقتصادية أو المعيشية أو البيئية .. أي القضايا التي تمس حياة الفرد اليومية مباشرة، حتى و لو كان الرأي الشخصي لا يشكل بالضرورة رأي عام، إلا أنه قد يتكون من مزيج من الأفكار أو التقديرات الشخصية.

الكلمات المفتاحية:

الرأي العام – الحشد – التمثيل.

Abstract:

Public opinion is one of the forces of society and the basis of its foundations. Its presence is permanent in the interaction of the components of social systems, whether it is apparent or hidden. It is one of the most complex and least understood concepts, because it is related to the beliefs and perceptions of the individuals who make it up, and even their behavior as well, i.e. the variables that have formed, for a long time, topics of research for many fields of knowledge to try to understand and explain them, so what are we talking about when we mention public opinion? And if we understand this phenomenon, how can it be mobilized to serve the public interest?

Political life in modern regimes cannot be stable without the support of public opinion and work to mobilize it for the decisions issued by the political system, as it is an essential source of legitimacy for those decisions, and also an essential element in exercising power and ensuring the political participation of the citizen, "because public policies need support and cooperation A large number of people, and this seems clearer in times of crises and wars, and even in times of peace, the political authority needs the support of public opinion on a large scale to accomplish many internal and external policies... etc. This is the problem of all governments alike. But public opinion does not only arise from political issues, as some think, but we may also find it around social, economic, living, or environmental issues.. that is, issues that directly affect the daily life of the individual, even if personal opinion does not necessarily constitute public opinion. However, it may consist of a mixture of personal thoughts or estimations.

Keywords:

Public opinion - Crowd – Appearance.

مقدمة:

الكل يتحدث باسم الرأي العام، الخطاب السياسي، وسائل الإعلام، الجماعات في مسألة تمثيلها، والكل يبحث عن مساندته لقراراتهم، فهو ظاهرة تهم كافة الأجهزة و الجماعات و الهيئات، لكن لا يمكن لنا معرفة إن كانت هذه الوكالة، شرعية أم لا؟، الظاهر أن هذه الصعوبة ناتجة عن غموض مفهوم الرأي العام و سوء فهمنا له، بل الكثير من الأنظمة، تستخف به و بأهميته في المساندة و الشرعية.

إن أهمية وقوة الرأي العام، لم تتغير منذ العصور القديمة حتى وإن لم تظهر جلياً في المعارف العلمية إلا حديثاً، إلا أن أفلاطون على سبيل المثال في جمهوريته يعترف أن الرأي هو شيء يقع بين المعرفة و الجهل² ، كما عرّف اليونان المفاهيم القريبة من فكرة الرأي العام كالاتفاق العام أو الاتجاهات السائدة و كانوا يحتفون بها أشد احتفاءً حتى أنهم خلدوها في "معبد البانثيون" Panthéon³ ، بعدها جاء نيكولاس ماكيافيلي Nicolas Machiavel 1469 - 1527، و كان أول من وجه الأنظار إلى ضرورة الاهتمام بصوت الشعب و اتجاهاته و كثيراً ما كان يردد العبارة القائلة بأن صوت الشعب هو صوت الله، فهو كان يعتقد أن على الرجل الحكيم أن لا يتجاهل الرأي العام فيما يتعلق بأمور معينة، مثل توزيع المناصب والاحترام، لأن الجماهير هنا، عندما تُترك لنفسها، لا ترتكب أخطاءً، أو أن تكون قليلة أو في بعض الأحيان فقط⁴.

من جانبه كان مونتسكيو Montesquieu 1689 - 1755 يعتبر الرأي العام حاضراً فيما أسماه العقل العام، و عند جون جاك روسو Jean-Jacques Rousseau 1712 - 1778، نجده تحت تسمية الإرادة العامة، و قد صبغه غبريال تارد Gabriel Tarde 1843 - 1904 بصيغة فردية واعتبره محض تقليد، من جهته اعترف إيميل دوركايم Durkheim، بوجود عقل الجماعة أو ضمير الجماعة الذي يتشكل من خلال التفاعل بين الأفراد، بحيث يصبح العقل الجمعي هو المسير لتصرفات و أعمال الجماعة⁵، كما أشار المفكر الفرنسي قستاف لوبون Gustave Le Bon في كتابه الشهير "علم النفس الحشد" "psychologie des foules"⁶ "أنه يمكن لآلاف الأفراد المنفصلين في أوقات معينة، و تحت تأثير بعض المشاعر العنيفة، أن يكتسبوا خصائص الحشد النفسي. عندئذٍ سيكون كافياً لبعض الفرص أن تجمع أعمالهم معاً لتتخذ على الفور خصائص الحشود. و في بعض الأحيان، قد يشكل بعض الرجال حشداً نفسياً، في حين أن مئات الرجال الذين تم جمعهم عن طريق الصدفة، قد لا يشكلون ذلك"⁷.

شياً فشيئاً أي خلال القرن التاسع عشر، بدأ الرأي العام بالظهور من خلال أساليب التعبير المختلف كالشعارات و المظاهرات و الاحتجاجات و عبر الصحف اليومية أيضاً و النشاطات التي كانت تقوم بها مختلف النقابات باسم الرأي العام و معبرة عنه، حتى أصبح، على حد تعبير باتريك شومبان Champagne Patrick "هو رأي المواطنين النشطاء سياسياً و الذين يبحثون على ممارسة الضغط في اللعبة السياسية"⁸.

إن الهدف من هذا المقال، هو لفت الانتباه إلى ما أصبح يمثلته الرأي العام في الديمقراطيات الحديثة كقوة مساندة - أو معارضة - لمختلف توجهات السياسة العامة للبلاد، خاصة مع بروز حوامل التكنولوجيا الحديثة التي وجد فيها الرأي العام أحسن تعبير لأفكاره و مواقفه، و الأمثلة على ذلك كثيرة بداية مما هو أقرب إلينا و الذي أصبح يُعرّف بالربيع العربي، أواخر 2011، حيث أدّت فيه مواقع التواصل الاجتماعي دوراً مركزياً في اندلاع الثورة بتونس، كما نجحت ثورة 25 يناير المصرية بإسقاط الرئيس السابق محمد حسني مبارك، ثم ثورة 17 فيفري الليبية بقتل معمر القذافي وإسقاط نظامه، كما أجبرت الثورة اليمنية علي عبد الله صالح على التنحي، ثم الحراك في الجزائر عام 2019 الذي على إثره أسقط نظام بوتفليقة، ثم الثورة السودانية في نفس

السنة 2019 الذي أسقط هو أيضاً نظام الرئيس السابق عمر البشير.. وتطول قائمة الأمثلة الناطقة بدور الرأي العام و من خلال الميديا الاجتماعية في صناعة الأحداث و توجيهها "بأصنافها السياسية والاقتصادية والثقافية، كما يمكن أن يكون للرأي العام دوراً كبيراً في تعزيز السلوكيات الإيجابية للأفراد المكونين له، و ذلك للحد من الحوادث العرضية أو الغرضية النابعة من الاستعمال البناء أو الهدام للحرية التي يتمتع بها هؤلاء الأفراد داخل نسق الرأي العام، وبالتالي ينبغي أن يساهم استخدامها عن طريق صياغة مضامين إعلامية مناسبة لكل شريحة من الشرائح المتفاعلة مع هذه الوسائل بحيث تتناسب الرسائل والاتجاهات والأفكار والسمات الخاصة بكل شريحة.

و بين هذا و ذلك، ينبغي علينا الإجابة على الانشغالات التالية: كيف ينبغي أن نفهم الرأي العام؟ كيف يمكن حسده؟ و ما أهمية القيام بذلك؟ وبعد كل هذه التساؤلات يمكن طرح السؤال الجوهرى التالي: كيف يمكن استعمال هذه القوة (الرأي العام) للحصول على المساندة اللازمة لتوجهات السياسة العامة التي تنتهجها السلطة؟

نحن نقصد بحشد الرأي العام كمفهوم إجرائي لهذه المحاولة، هو كل عمل يسعى إلى تجميع أفكار و آراء و مواقف و السلوكيات التعبيرية لأفراد المجتمع الجزائري باعتبارهم رأي عام، حول قضايا تخص مجتمعهم أو تخص قضايا النفع العام قصد محاولة توجيهه أو "استعماله" كسند قوي لممارسة السلطة و التوجه به إلى المساندة اللازمة لها.

و لقد تعمدنا استعمال مصطلح الحشد بل التعبئة، لأننا نعتقد أن هذا الأخير يوحى بالإيديولوجية التي كانت مُستعملة في وقت ما أي أيام النهج الاشتراكي الذي كانت "التعبئة الجماهيرية" فيه من ضمن أهم وسيلة من وسائل الضبط السياسي و الدعائي، ثم أن الحشد عملية ديناميكية أساسها التأثير و الاقتناع، أما التعبئة فهي فوقية و في بعض الأحيان إلزامية.

1. صعوبة تحديد مفهوم الرأي العام:

حتى و لو كان بديهياً في تجلياته و تمظهره، فإن الرأي العام في محاولة تعريفه يصطدم بصعوبات جمة، ابستمولوجياً أولاً كونه يتداخل مع مفاهيم أخرى على شاكلة الشعب و الجماعة و الإرادة الشعبية، بحيث يصعب رسم حدود كل منها، ثم سياسياً و اجتماعياً حيث يُعبر المفهوم عن الطبيعة المتداخلة للمصالح السياسية و الاجتماعية التي تستغله، ثم إعلامياً حيث تلعب وسائل الإعلام دور التمثيل "الأصدق للرأي العام" و تعطي لنفسها مصداقية الحديث باسمه و التعبير عنه تحت عبارات "يرى الرأي العام"، "يرفض الرأي العام"، "تجد القرارات السياسية اقبالاً واسعاً في أوساط الرأي العام" *...، ثم المفهوم الذي تعطيه مراكز سبر الآراء للرأي العام من خلال قياسه، ففي هذا التجاذب يصعب تحديد و بدقة مفهوم واضح لمعنى الرأي العام، لكن تبقى بعض المحاولات جديرة بالطرح على الأقل لإعطاء صورة أولية لهذه الظاهرة.

للرأي العام تعاريف كثيرة و من مختلف منابع المجالات المعرفية، البعض منها حقق المقصود منه بالإشارة إلى مكوناته و طرق تكوينه، و البعض الآخر يخلط بينه و بين العديد من المفاهيم المقاربة، مثل الإرادة العامة، و الشعب و الجماعات الاجتماعية .. و في الحقيقة أن الرأي العام هو كل ذلك و أكثر من ذلك، و سوف نعرض أهم ما وجدنا من تعاريف للرأي العام على الأقل لأنها أصابته في إحدى متغيراته.

يُعرف فلويد ألبورت Allport Floyd Henry ، الرأي العام بأنه تعبير صادر عن مجموعة كبيرة من الناس عما يرونه في مسألة ما إما من تلقاء أنفسهم أو بناء على دعوة توجه إليهم مؤيداً أو معارضاً لحالة معينة أو شخص معين أو اقتراح ذو أهمية جماهيرية، بحيث تكون نسبتهم في العدد من الكثرة و الاستمرارية كافية للتأثير على أفعالهم بطريقة مباشرة تجاه الموضوع محل الرأي⁹، يبدو أن فلويد ألبورت يرى القضية من منظور التعداد الذي يكون عليه الرأي العام، فهو ربط هذا الأخير بتواجد مجموعة كبيرة من الناس و نسبتهم في العدد من الكثرة، لكننا نرى أن قبل ذلك لابد أن تكون هناك قضية يتبناها هذا الرأي العام، ثم طبيعتها ثم صيرورة تكوينها و انتشارها ثم يمكننا الحديث عن العدد، لذلك قدم جمال مجاهد تعريفاً نظنه يشير إلى طبيعة القضايا التي يمكن أن يلتفت حولها الرأي العام قائلاً "الرأي العام هو الرأي السائد بين جماعة من الناس إزاء قضية أو مشكلة تمس مصالحهم أو قيمهم تم التوصل إليه بعد نقاش و صراع للأراء والأفكار الهدف منه الوصول إلى من يبددهم القرار بشأن تأييد أو معارضة قراره " ¹⁰، و رغم دقة هذا التعريف و إلمامه بالكثير من متغيرات تكون الرأي العام (وجود رأي سائد، وجود قضية، وجود نقاش و صراع) إلا أن هناك حلقة تنقص هذا التعريف ليكتمل المشهد الخاص بالرأي العام، و هو التمثيل، أي ترجمة كل تلك العمليات إلى سلوكيات على شاكلة الاحتجاجات، التظاهرات، المسيرات، .. فيروز الرأي العام يكتمل عندما يعبر الأفراد المكونين له عن مواقفهم و آراءهم بشكل علني و معبر، يرى حامد ربيع، أن الرأي العام يتضمن الإعلان عن وجوده بألفاظ أو رموز تسمح بفهم تلك الحقيقة المعلن عنها ¹¹، و قد يكون ذلك التمثيل عبر منصات التواصل الاجتماعي، و هذا ما يطلق عليه بالرأي العام الافتراضي و يرى فيه وسام فؤاد أنه يمثل خريطة تعكس محصلة التدافع بين وجهات نظر الجماعات المختلفة و الناشطة أو لائين و عبر مختلف منصات التعبير عن الرأي حيال قضية أو قرار أو حدث يمس مصلحة حيوية أو أكثر من مصالح هذه الجماعات ¹²، أما حامد ربيع فهو يرى أن الرأي العام في أوسع معانيه يشمل كل تعبير عن وجهة نظر معينة بخصوص إحدى المشاكل التي تتعلق بمصير الجماعة تعبيراً أخذ صورة الإرادة العامة أو الميل العام نحو تفضيل نموذج معين من نماذج الحلول موضع المناقشة¹³.

و من خلال التعريفات التي أشرنا إلى بعضها فقط، يتضح لنا صعوبة تعريف الرأي العام بشكل دقيق و نهائي، فالصعوبة تكمن في تحديد مكوناته أولاً ثم إلى مراحل تكوينه ثانياً، فالمقصود هنا ألا يتداخل الرأي العام بمفاهيم أخرى قد تجرنا إلى عدم فهم الظاهرة و منه صعوبة حشده و التعامل معه، لذلك نحن نرى أن الرأي العام هو حصيلة المناقشات لمجموعة كبيرة من الأفراد و ما ينبثق عنها من قرارات إرادية لقضية أو قضايا تعنيهم أو تعني مجالهم الحيوي، معبرين عن إرادتهم تلك، بأشكال مختلفة تتمظهر فيها مواقفهم إزاء تلك القضية.

II. الإهتمام العلمي بعمليات حشد الرأي العام:

يلاحظ كل من قام بمسح التراث العلمي للدراسات التي تناولت الرأي العام بالدراسة والتحليل، أن هناك العديد من الأبحاث العربية التي تعرضت لرصد أبعاد العلاقة بين وسائل الإعلام التقليدية والتحول الديمقراطي، بينما ما تعلق بعلاقة وسائل الإعلام الحديثة بالرأي العام، فالدراسات العربية في هذا الشأن، شحيحة، بعكس ما وفرته المدارس الغربية في هذا الصدد وتعمقها في تحليل العلاقة بين الشبكات الاجتماعية والتحول الديمقراطي بصفة عامة و دور الرأي العام في رسم ملامحه بشكل خاص.

طُرحت البدايات الأولى لإشكالية حشد الرأي العام، في إطار نظريات علم النفس الاجتماعي psychosociologique و علم النفس الحشود la psychologie des foules حيث حرص أصحاب هذه التوجهات، على تبيان أهمية الحشود و الجماعات، كما تناول ميدان العلوم السياسية الرأي العام، من منظور المشاركة السياسية في عملية صنع القرار والسيطرة على الأفراد خاصة وقت الأزمات والحروب وفترة الانتخابات، و اهتم به أصحاب التسويق و الإعلان أيضاً لمعرفة خصوصياته و توجهاته الاستهلاكية.

إن التراث النظري الذي جاء حول مفهوم الرأي العام و ظهوره و تجلياته و مكوناته و أهميته في استقرار الأنظمة .. لم تنتج من فراغ بل هي عبارة عن دراسات و نظريات أخذت في تفسيرها للظاهرة بعدين أساسيين، الأول و يتعلق بالفرد من الناحية النفسية ككائن له ميولاته، رغباته، أفكاره الخاصة، و البعد الثاني اجتماعي باعتبار أن هذا الفرد هو جزء من مجتمع بتقاليده و أعرافه و طقوسه، فهو يَأثر و يتأثر بها، مما يعني أنها المتغيرات الأساسية لدراسة و فهم الرأي العام، لذلك يقول حامد ربيع "أن دراسات الرأي العام عادت إلى بؤرة اهتمامات هذه العلوم مرة أخرى (و هو يقصد بها علم السياسة و علم الاجتماع و علم النفس)، و يؤكد أن فهم ظاهرة الرأي العام يستلزم الاستعانة بالعلوم الإنسانية و التي لن تستطيع بدورها تفسير العديد من الظواهر التي تتناولها دون الرجوع إلى عملية الرأي العام ذاتها"¹⁴.

ليس غرضنا من هذا المقال، عرض كل التراث النظري الذي تناول الرأي العام كمفهوم أو كظاهرة اجتماعية و سياسية، لكن الإشارة بالتأكيد على أن الرأي العام كان محل الاهتمام العلمي للكثير من المجالات المعرفية كما رأينا ذلك سابقاً، و على رأسها علم الإعلام و الاتصال الذي تناول من جهته تكوين الرأي لدى الأفراد و مساهمة و سائل الإعلام الجماهيرية في ذلك، و قد قيلت في هذا الشأن الكثير من النظريات * اتفقت معظمها على أن لوسائل الاعلام القدرة على التأثير في الأفراد من خلال تغيير أو تعديل أو تثبيت اتجاه أو سلوك يرغب القائمون على تلك الوسائل زرعها في الجماهير، من هذه النظريات على سبيل الحصر: نظرية تدفق الاتصال عبر مرحلتين، مدخل الاستخدامات و الاشباعات، نظرية ترتيب الأولويات (Agenda setting)، نظرية الغرس، نظرية لولب الصمت، نظرية الفجوات المعرفية، النظرية الادراكية و غيرها.

و نحن نبحث عن مراجع لهذا المقال، اندهشنا لكم الهائل من الدراسات الجزائرية في شأن الرأي العام، و حتى و إن كان بعضها تحصيل حاصل لدراسات أجنبية، إلا أن الكثير منها وفق إلى حد كبير في تفسير ظاهرة الرأي العام في الجزائر، سواءً من حيث إثبات تواجده في مختلف التفاعلات الاجتماعية أو السياسية، أو من حيث قياس اتجاهاته و مواقفه إزاء بعض الأحداث التي شهدتها الجزائر و التي لا يمكن إلا أنها تعبير عن وجود الرأي العام و إمكانية تغييره للأوضاع (أحداث أكتوبر 1988، الربيع الأمازيغي 20 أبريل 2001، أحداث جانفي 2011، الحراك الشعبي 2019)، إلى جانب بعض الأحداث التي شهدتها بعض الولايات.

يمكننا تجميع التراث "الجزائري" لأبحاث الرأي العام في الجزائر، إلى ثلاث أصناف¹⁵، الدراسات التي تناولت البعد السوسيولوجي للجماعات الاجتماعية في طار سياقاتها الاجتماعية و الثقافية و السياسية، مثل دراسة محمد لمين بوذن حول سوسيولوجية الرأي العام الجزائري، و الدراسات التي قامت بقياس الرأي العام الجزائري حول مختلف القضايا و أكثرها السياسية، كدراسة صدوق عبد القادر حول أثر الرأي العام في توجيه القضاء الجزائري، و الصنف الثالث الذي تناول حركية الرأي العام الجزائري من المنظور الإعلامي – الاتصالي، منها دراسة طوبال خديجة حول القنوات الإخبارية الجزائرية و تشكيل الرأي العام نحو القضايا

السياسية الراهنة، و القائمة تطول بالدراسات الأكاديمية و الأبحاث المتنوعة الأخرى، لكن مع الأسف، هذا الكم في اعتقادنا، لا ينبغي أن يحجب علينا الطابع السطحي التي تتميز به الكثير منها، الشيء الذي جعلها غير قادرة على التأسيس النظري للرأي العام الجزائري، مما يفقد الاستراتيجيات التي تحتاج إلى عملية حشد الرأي العام لقضايا مجتمعه، المعرفة اللازمة للمنطقات النظرية التي تمكن الباحث من التوجه السليم لدراسة هذا الرأي العام، كالبعد الديموغرافي، و البعد الاجتماعي، و البعد النفسي، و البعد الإثنوبولوجي و غيرها من الأبعاد التي تشكل القاعدة العلمية لقياس الرأي العام الجزائري و من ثمة إلى توقع سلوكه إزاء تلك القضايا، ثم أننا لاحظنا أن الكثير منها لا يحاول الاعتماد على التداخل المعرفي الذي قد يفسر طبيعة الرأي العام الجزائري، لقد قلنا سابقاً أن الرأي العام هو مزيج من الأبعاد بعضها اجتماعي و الآخر نفسي و الثالث سياسي .. لكن الدراسات السابقة تتوجه فقط إلى بعد من تلك الأبحاث حسب تخصص كل باحث، و هذا ما يفقد المعنى العميق للرأي العام الجزائري، و طبيعة تكوينه و طريقة تطوره و منه يكون من الصعب حشده و تعيئته.

الوضع السابق له ما يبرره موضوعياً:

أولاً قلة المعطيات الضرورية لمعرفة حقيقة المواطن الجزائري الذي يُعد النواة الأولى لمعرفة الرأي العام، و على وجه التحديد الإحصائيات التي تشكل أساس الدراسات الإمبريقية في قياس الرأي العام و التنبؤ بتوجهاته، فالإحصائيات دائماً ما كانت تشكل نوع من المعلومات السرية عند كل مصدر، فلا يصل إليها الباحث إلا في حالات نادرة جداً و بصعوبة كبيرة، مما يُفقد الباحث أهم أداة يمكنه الاعتماد عليها للوصول إلى الحقائق العلمية التي تثيرنا حول طبيعة الرأي العام الجزائري.

ثانياً الحساسية المفرطة التي توليها بعض الجهات الرسمية بل و حتى الأكاديمية منها إزاء الإحصائيات و ما يدور في فلكها من أدوات قياس الرأي العام الجزائري، لا اعتقادها الخاطئ أن معرفة تلك الإحصائيات، يمكن أن يشكل خطراً على سياستها و يفضح خططها السيئة في إدارة الشؤون العامة، مما يُحرم الباحث من أهم معيار من معايير البحث و أدواتها الموضوعية في تفسير القضايا التي تهم الرأي العام من عدمها.

ثالثاً أغلب التقنيات المنهجية المُستعملة في الكثير من الدراسات الميدانية التي تريد معرفة رأي أو موقف الرأي العام الجزائري، ليست في المستوى العلمي المطلوب، سواءً من حيث العينات المختارة لذلك أو لطبيعتها الجغرافية و الديموغرافية أو حتى من حيث عددها، ففي أغلب الأحيان تقوم تلك الدراسات على استجواب الطلبة أو المشاهدين أو النساء أو العمال، ثم تتحول نتائجها إلى التعميم على الرأي العام، مع العلم أنه من الصعب جداً إيجاد عينة من المجتمع تُعبر عن ما نسميه بالرأي العام الجزائري،

رابعاً قلة تفاعل أفراد المجتمع الجزائري مع متطلبات البحث العلمي (في الدراسات الاستطلاعية في الدراسات المسحية على وجه الخصوص) ، أو التقليل من أهميته، فالفرد الجزائري لا يفصح بسهولة عن أفكاره و مواقفه سواءً لعدم فهمه الهدف من البحث العلمي أو التقليل من أهميته، أو خوفاً من إبداء رأيه إذا كان يخالف جماعته المرجعية أو السلطة القهرية التي يخضع لها، و هنا تتأكد فرضية لوب الصمت التي قدمتها الباحثة الألمانية إليزبت نوال نيومان عام 1974.

خامساً اقتصار بحوث الرأي العام على دراسة المواطنين المتواجدين في العاصمة أو في بعض المدن الجزائرية الكبرى، محتجين في ذلك أن هذه المدن تجمع في طياتها فيفساء من التركيبة الاجتماعية للمجتمع الجزائري،

خاصة إذ تم استعمال العينات غير الاحتمالية و الموجهة و التي لا يمكن تعميم نتائجها على كل أفراد الرأي العام الجزائري.

III. دور وسائل الإعلام والتكنولوجيات الحديثة في حشد الرأي العام:

يرى حامد ربيع أن من بين أهم الوظائف التي تقوم بها الدولة الحديثة، هي الوظيفة الاتصالية، وذلك بجوانبها المختلفة أو وظائفها الفرعية و محورها تكوّن الرأي العام في مجتمع معين لكي يكون صالحاً للقيام بأدوار أو وظائف سواءً كان ذلك على الصعيد الداخلي أو الخارجي¹⁶، و هي عند قيامها بتلك الوظيفة، تعتمد بشكل كبير على وسائل الإعلام الجماهيرية وأهم دور لهذه الوسائل في هذا المجال، هو حشد الرأي العام أو تعديله أو تكييفه بما يتماشى و مصالح الاتجاه الذي تدعمه، فقد تكون وسائل الإعلام الجماهيرية ذات تبعية تامة للسلطة، فيتم تسخيرها للتعامل مع الرأي العام، بما يخدم توجهات السلطة و أهدافها، إن هذه الوظيفة و بهذا الشكل، ليست عيباً في حد ذاتها إذا ما كان الهدف منها، تزويد الرأي العام بالبيانات و المعلومات حول الأحداث و الوقائع التي يعيشها و يمر بها، و هذا طبعاً سوف يساهم في تنوير الرأي العام و إحاطته علماً بتلك الأحداث و الوقائع، و يساعده على تكوين إدراكاته، و تصوراتها عنها، لذا تؤدي وسائل الاتصال الجماهيرية دوراً بالغ الأهمية في تشكيل و تكوين الرأي العام، وفي تعبئة الجماعات و حشدها حول أفكار و آراء و اتجاهات معينة مهما كانت هذه الجماهير متباعدة جغرافياً، أو غير متجانسة ديمغرافياً.

يؤكد فريق من الباحثين أن وسائل الاتصال تستغل الإدراك المحدود للأفراد، و تعمل على إيجاد و تكوّن الصورة الذهنية التي تخدم أغراض القائمين بالاتصال، و تعمل على نشر الاتجاهات و الآراء التي يرغب فيها أصحاب القرار محلياً و وطنياً و دولياً، و في الوقت الذي تؤثر فيه وسائل الإعلام المختلفة على الرأي العام، فإنها تتأثر به كذلك، و تتابع أحداثه أولاً بأول، عبر إجراءات و استراتيجيات سياسية و تقنية سوف نعود إلى البعض منها لاحقاً.

و مع التطور الكبير لتكنولوجيا الاتصال الجماهيرية، ازدادت قدرة هذه الوسائل على التأثير في الجماهير، و توجيهها نحو آراء و أفكار معينة، حتى انبثق عن مفهوم الرأي العام، مفهوم آخر يعبر عن هذه الظاهرة في الفضاء الأزرق، و هو الرأي العام الافتراضي، الذي يعني الفضاء العمومي "الجديد" الذي أصبح يحتضن المناقشات و الصراعات بين أفراد المجتمع حول بعض القضايا المجتمعية أو الشخصية، و قد ربطت الكثير من الدراسات الأجنبية على وجه الخصوص، بين هذا المفهوم و مفاهيم ذات صلة و أهمية مثل المواطنة النشطة و الديمقراطية التشاركية و التشاركية الافتراضية و المزاج العام الافتراضي و المواطنة النشطة الافتراضية، كما أشارت أبحاث كثيرة أخرى، إلى أن الفضاء الإلكتروني يساهم في الحشد و التعبئة و التصويت و التجنيد و تفعيل دور المعارضة السياسية، و تنظيم التجمعات و الاحتجاجات و التظاهرات الفعلية و الإلكترونية، و نشر نوعية جديدة من قادة الرأي (الفاعلين الجدد) متمثلة في نشطاء مواقع التواصل الاجتماعي cyber activist¹⁷، كما أكدت نتائج دراسة حاتم سليم العلوانة، أن عينة من النقابيين بالأردن على سبيل المثال، يرون أن مواقع التواصل الاجتماعي يمكن الاعتماد عليها أكثر من الوسائل التقليدية في تكوين الآراء تجاه موضوعات الحراك الجماهير لأنها تقدم الحقيقة، فضلاً عن أنها تسمح بحشد الجماهير وراء موقف معين¹⁸، كما أسفرت نتائج دراسة Kevin W. Collins، على أن العامل الأساسي المؤثر في تعبئة الرأي العام الإلكتروني نحو قضية معينة، هو عامل التفاعلية و قد أسفرت دراسة Cai, D عن وضع نظرية باسم التعبئة التفاعلية The Interactive Mobilization Theory و هي نظرية توضح أن التفاعلية الافتراضية عبر الشبكات الاجتماعية و النشاط الإلكتروني المستمر للمستخدم، عاملان أساسيان في تكوين الناشط الإلكتروني الذي يحشد الأجواء و يصنع تابعين له و داعمين لرأيه¹⁹، من جهتها أثبتت دراسة أخرى قام بها كل من بوعموشة نعيم و بوبكر هشام عن دور شبكات التواصل الاجتماعي في صناعة الرأي العام لدى المواطن

الجزائري أيام حادثة سقوط عياش محجوبي ببئر ارتوازي بمنطقة أم الشمل بولاية المسيلة. الجزائرية، أن أغلب المبحوثين يقرون بأن أكثر مواقع التواصل الاجتماعي التي قاموا بزيارتها أيام الحادثة هي كالاتي: الفايسبوك حسب 74.61%، اليوتيوب حسب 20.77% ، تويتر حسب 03.85% ، أنستغرام حسب 0.77%²⁰، ونفس الوضعية وصلت إليها الكثير من الدراسات، أي الاستخدام الواسع للجزائريين لمواقع التواصل الاجتماعي أثناء الأزمات، وهكذا القائمة طويلة من الدراسات و الأبحاث العلمية التي جاءت في شأن الرأي العام الافتراضي و أهميته في الوقت الحاضر، ضف إلى ذلك الوقائع الكثيرة التي شهدتها الجزائر عن تفوق الفضاء الأزرق على الاستعمال الدعائي لوسائل الإعلام التقليدية من طرف السلطة، فكل يتذكر الحملة التي قام بها أحد المؤثرين عبر الإنترنت للعزوف عن الانتخابات التشريعية لسنة 2017، رغم ما سُخر من أموال للحث في المشاركة القوية لهذه الانتخابات عبر وسائل الإعلام الحكومية الرسمية التقليدية، و حادث آخر عام 2019 حيث نجح مؤثر آخر على حشد الآلاف من الشباب في مكان واحد (رياض الفتح بالجزائر العاصمة) للاحتفال بعيد ميلاده، الشيء الذي لم تستطع القيام به وسائل الاعلام الجماهيرية بل و لم تستطع أعرق الأحزاب السياسية في الجزائر، من حشد عشرات المواطنين فقط في حملاتها الانتخابية.

17. التوجه المطلوب:

إن التوجهات السياسية التي انتهجتها الجزائر مؤخراً، جعلت منها محل حملات إعلامية دعائية من مختلف الجهات وعلى كل الأصعدة و هذا الوضع نكاد نقول عنه أنه طبيعي بالنظر إلى طبيعة تلك السياسات و أبعادها، فهي قائمة على استرجاع سيادة الدولة في كل القطاعات و بقرارات بعضها ثوري أعادت الدولة الجزائرية النظر حتى في الاتفاقيات السياسية و الاقتصادية المبرمة إلى تاريخ قريب جداً و التي كانت ترى فيه مساساً بسيادتها و نزيف لاقتصادها الوطني.

صحيح أن هناك محاولات حثيثة تقوم بها السلطات الجزائرية لمواجهة تلك الحملات، معتمدة في ذلك على وسائل الإعلام الجماهيرية و على رأسها الوسائل السمعية البصرية العمومية، لكننا نعتقد أن تلك الحملات لا ترقى إلى درجة و حدة تلك الحملات، فوسائل الإعلام بقدرتها على التأثير، يمكن أن تشكل ذلك الوعاء اللاشعوري على حد تعبير حامد ربيع، الذي من خلاله يصنع الفرد المواطن رأيه و تصورات و إدراكه للقضايا التي تُعرض عليه و هو بهذا المعنى لا يفهم إلا ما يريد، و لا يفهم ما يريد سوى بالطريقة أو الأسلوب الذي يتقبله و عاؤه الشعوري أو اللاشعوري، بينما يطغى على عمل تلك الوسائل، الطابع الرسمي لخطابات السلطة و بياناتها الرسمية أي الاتصال النازل عوض الاتصال الصاعد، بهذا فهي لا تأخذ محل الجد التحولات التي طرأت على طبيعة الرأي العام الجزائري، كسند داخلي في معاركها الدعائية التي يُفترض أنها تبدأ من الداخل (العمل على كسب التأييد) ثم إلى الخارج أي إلى الرأي العام الخارجي، حتى لا نقول أنها أهملته كفاعل أساسي يمكن الاعتماد عليه في تلك الموجهات، ما هي التحولات التي طرأت على الرأي العام الجزائري حتى أصبح فعّالاً بالدرجة التي جعلته قادر على تغيير الأوضاع؟.

أولاً ارتفاع مستوى التعليم و التمدن للكثير من أفراد المجتمع، مما نتج عنه زيادة الوعي لدى هؤلاء بما يحدث داخلياً أو خارجياً، خاصة فئة الشباب منهم التي أصبحت تشكل بالفعل القوة الأولى في المجتمع، تهتم بشؤونها و شؤون المحيط الذي تعيش فيه و في بعض الأحيان تنشط لتغييره.

ثانياً ومعها زادت سهولة التكييف مع التكنولوجيات الحديثة ودمقرطتها في ظل الجو الديمقراطي الذي أصبحت توفره الدساتير الجزائرية و قوانين الجمهورية، حيث فسحت المجال واسعاً للتعبير عن الأفكار والتوجهات والمواقف والتجمعات والمظاهرات وغيرها والتي تُعد من أهم مكونات الرأي العام، فالخطورة في طريقة التي يمكن أن يستعملها الرأي العام ذلك الانفتاح.

ثالثاً الجو "الجديد" الذي أفرزته الثورة التكنولوجية التي شهدها العالم بصفة عامة ومنه الجزائر في العقدين الأخيرين، وتحديداً في شقها المتعلق بالإنترنت وما تحمله من تطبيقات وبرمجيات، ومواقع التواصل الاجتماعي وقواعد البيانات الضخمة و التي جعلت المعلومة - مهما كانت طبيعتها - متوفرة للجميع و بكفاية، كما كانت من بين انعكاساتها، أنها قربت بين الأفراد الذين كانوا في وقت ما يصعب عليهم الاتصال لتباعدهم جغرافياً، فكانت وسائل الاتصال الحديثة أن أصبحوا أكثر تفاعلاً اجتماعياً مما يعني أنهم أكثر قابلية لتكوين رأياً عاماً.

رابعاً سهولة وصول المواطن العادي، إلى العديد من المعطيات السياسية و الاجتماعية و الاقتصادية و الثقافية، و التي جعلت الإعلام الرقمي مجالاً خصباً لممارسة الفعل الاجتماعي المتحرر من هيمنة القوى التقليدية التي كانت تمثلها السلطة و النخبة التقليدية، فشهدنا بذلك بروزاً لصوت الجماهير التي كانت مغيبة في السياق الميدياتيكي الجماهيري²¹.

إن عملية حشد الرأي العام، لم تصبح عملية كمالية تستعملها السلطة السياسية للتباهي بمدى ديمقراطية أنظمتها و مدى تطبيقها أيضاً لحرية الرأي و التعبير عنه عند المواطن، بل وظيفة استراتيجية تفوق في وقتنا الحالي نتائج العمليات العسكرية و البوليسية و الأجهزة النظامية الأخرى كما تفوق أيضاً الحملات التي تقوم بها وسائل الإعلام العمومية، في مهام المساندة و البحث عن مصادقية مخرجات السلطة السياسية من قرارات و قوانين و استراتيجيات تنموية، كما لم تعد عمليات حشد الرأي العام أيضاً من الأعمال المشينة التي توحى بخلفياتها إلى عمل الأنظمة الديكتاتورية و الأنظمة التسلطية، حتى و لو كانت هذه الطريقة للحشد، لا زالت وظيفة تقوم بها في بعض الدول، في قمعها لشعبها و تقييد حريته في التعبير و الإدلاء بأرائه و المشاركة الفعالة في الحياة السياسية، لكننا نقصد بالحشد، العمليات الإيجابية في التوعية و الترشيد و حث المواطن على الانغماس أكثر في الحياة المجتمعية، و على المدى الطويل الرضا و الاندماج الذي يخلق نوعاً من الترابط بين قوى المجتمع و أجزاء الجسد السياسي.

تطرح هذه المحاولة الكثير من التساؤلات حول الرأي العام الجزائري، لكننا لا نستطيع الإجابة عنها كلها، لذلك فإن الهدف منها هو معرفة الطرق الكفيلة لحشد الرأي العام الجزائري بخاصة حول القضايا الحرجة التي تمر بها البلاد حالياً، و التي تحتاج في اعتقادنا إلى الاعتماد أكثر على مساندة الرأي العام الجزائري و بناء استراتيجيات يدور حولها وجوده السياسي، بحيث يمتلك حد أدنى من الاتفاق أو الاجماع القومي حول الموضوعات الأساسية التي تشكل جوهر ذلك الوجود السياسي، و بالتالي يكون قادراً على تقديم الاستجابات السليمة على التحديات التي تواجهه. إن توافر هذا الحد الأدنى من الاجماع الوطني يقدم مساندة حقيقية للسياسة داخلياً و خارجياً من ناحية، و يهيئ أرضية صلبة لأداء الدور الحضاري من ناحية أخرى²².

و للوصول إلى المقاصد السابقة، نحن نرى أن عمليات حشد الرأي العام الجزائري، و جعله قوة إيجابية في المساندة، مرهون بتوفر المعطيات و المتغيرات التالية:

أولاً الاعتراف بوجود رأي عام جزائري مهما كانت الأوضاع في البلاد، والاعتراف أيضاً بقوته في رسم مجريات الحياة مهما كانت طبيعتها، وبالتالي يمكن استعماله عوض محاربتة. " وضرورة تحديد وسائل الاتصال

الملائمة لكل جماعة من جماعات الجمهور المُستهدف، وأنه لا يمكننا أن نتجاهل الحراك الاجتماعي أو نلغيه مهما كان مستواه باعتباره من خصائص المجتمعات الطبقيّة والتوجهات السائدة في المجتمع، والتي تتأثر بالعبادات والتقاليد، و يمكن أن تتعارض أيضاً مع التوجهات السياسية، وتشكل صعوبة في التأثير على اتجاهات الجمهور نحو قضية بعينها²³.

ثانياً جس نبض الرأي العام الجزائري في كل لحظة و حول كل القضايا ذات الشأن العام، عبر عمليات سبر الآراء تقوم بها مؤسسات مختصة ومراكز البحث حتى لو كانت تابعة للسلطة على شرط أن لا تنتج لنا مخرجات دعائية على شاكلة تشويه الحقائق و التضخيم و الكذب، لأن موضوعية نتائج قياسات الرأي العام تُعد أحد أهم مظاهر النظام الديمقراطي ودعامة من دعائمه ويدل انتشار قياسات الرأي العام واستمراريتها وطبيعية الموضوعات والقضايا التي تتناولها، على أنها مؤشراً لديمقراطية النظام ودليلاً في الوقت ذاته على مدى حرصه وتمسكه بمشاركة الرأي العام في عمليات صنع القرار.

ثالثاً التنبؤ بكل الحركات التي من شأنها أن تخلق اللاستقرار و الفوضى في البلاد، و دراستها دراسة محكمة، مثل الحركات الدينية أو الحركات السياسية أو غيرها من الإيديولوجيات، و ذلك منذ بداية ظهورها أي قبل أن تشكل رأي عام ضاغط، و هذه المهام توكل إلى مراكز البحث في علم السياسة و علم النفس و علم الاجتماع، أي إلى خبراء العلوم الإنسانية و الاجتماعية بصفة عامة، معنى هذا الكلام و كما أكد عليه أكثر من عارف لشؤون الرأي العام، أنه على الحاكم أن لا يترك الرأي العام يتطور من تلقاء نفس.

رابعاً على القائمين على السلطة السياسية، أخذ الأسبقية لكل الأحداث التي قد تتبناها مجموعة صغيرة من الأفراد و على أي قضية مجتمعية كانت عبر الفضاء الأزرق، و ذلك إلى غاية التأكد بأنها لا تصل إلى تشكيل رأي عام حولها، و هذه الأسبقية تعطي الوقت اللازم لإيجاد استراتيجية للتصدي لها، و إذا ظهر العكس يصبح الأمر طبيعياً، لأننا لا نستطيع التنبؤ بحركة الرأي العام و توجهاته، لذلك لا ينبغي المغامرة في هذا الإطار، يقول محمد منير حجاب " إن دراسة الرأي العام دون تتبع مسار تأثيراته على الحياة السياسية، تُعد مبتورة أو ناقصة أو تقتصر إلى مقومات الاكتمال والفهم الصحيح"²⁴.

خامساً احتلال الفضاء الأزرق و العمل على التواجد فيه، لأنه أصبح الفضاء العمومي التي تجمع كل أشكال تفاعلات أفراد المجتمع و في إطاره تُصنع قرارات الرأي العام و تحركاته، لقد خلصت دراسة باتي زكرياء Zakaria Patty إلى أهمية لجوء المجتمعات التي تعاني من الفساد السياسي، إلى المقاومة المدنية كمخرج أساسي للتحول الديمقراطي و التخلص من النظم السلطوية الفاسدة، كم أوضحت نفس الدراسة أيضاً، أن آليات تلك المقاومة المدنية، هو تطويع مواقع التواصل الاجتماعي المختلفة، للتعبير عن طبيعة تلك المقاومة و أساليبها²⁵، يمكن الاستعانة في هذا الإطار بنظرية وضع الاجندة Agenda-setting و هي إحدى النظريات الإعلامية التي نجحت عبر فرضيتها في طرح الطريقة التي يُدار بها الرأي العام، و التي تسلط الضوء على دور وسائل الاعلام الجديد في إظهار القضايا والأحداث السياسية التي لا تحظى بتغطية إعلامية كافية من قبل وسائل الاعلام التقليدية، لتصبح أجندة المستخدمين، لها أولوية على أجندة صناع القرار و الإعلاميين التقليديين، مما يسهم في تشكيل رأي عام إلكتروني أكثر واعياً و موضوعية من الرأي العام الحقيقي .

سادساً إعادة النظر في طبيعة التواصل بين الحاكم والرأي العام في ظل وبالاعتماد على ما توفره تكنولوجيا الاتصال الحديث، و هذا ما يقوم به الرئيس الجزائري عبد المجيد تبون في تواصله مع الرأي العام الجزائري عبر استخدامه لمنصة التويتر، و بعض الوزراء في حكومته، كما تستعمل بعض الأحزاب موقع الفيس بوك ويوتيوب كوسيلة دعائية لتحقيق الغايات السياسية المختلفة، إلا أن هذه المبادرة تبقى محتشمة ما لم تعمم على باقي رجال السياسة في السلطة الجزائرية، علاوة على تواضع محتوياتها و بطء تجديد مضمونها بما يتماشى و سرعة انتشار المعلومة.

سابعاً رسكلة طريقة تناول قضايا المجتمع بالكيفية التي تزيد من اهتمام الأفراد بها، مثل المواطنة و الديمقراطي والمشاركة في الحياة العامة و السلوك المروري، و قضايا الصحة .. و ذلك بإعادة النظر في طبيعة الخطاب الإعلامي الذي يُغدي حالياً معظم مضامين وسائل الإعلام، و الذي نضنه دعائي كلاسيكي لا يجلب انتباه متابعيه بالقدر الكاف، بل و يجعل الكثير منهم ينفرون منه إلى ما قد تقدمه أطراف إعلامية أخرى لنفس القضايا مع ما يمكن أن تحمله من مغالطات حولها و تشويه حقيقتها.

ثامناً التحفظ أو التأخر في التعليق عن بعض الأحداث كما تقوم به السلطة الجزائرية، ليس بالحل الأمثل لتنوير الرأي العام، فالمجال الإعلامي لا يحتمل الفراغ، كما أنه يفتح الباب واسعاً للإشاعات و التضليل والتدليس والقياسات الفاسدة، أنظر على سبيل المثال الصمت الذي اتخذته السلطات الجزائرية إزاء ملف استيراد السيارات، فقد فتح الباب واسعاً لكل الأقاويل السيئة عنه بل و كل أنواع الإشاعات، و أنظر أيضاً للتأخر الذي سجلته السلطات الجزائرية عندما مرض الرئيس الجزائري عبد المجيد تبون 2020 و تم نقله إلى ألمانيا للتداوي، وما نتج عنه من إشاعات (موت الرئيس) هزت الرأي العام الداخلي و الخارجي أيضاً، إن التعامل بالسرعة اللازمة مع المعلومة، يمكن أن يجنب الرأي العام البحث عنها في الكثير من مصادر أجنبية هدفها سبق الصحفي على حساب الحقيقة و النزاهة، فلا يُعقل على سبيل المثال أن أحداث تقع في الجزائر على الساعة 10.00 صباحاً مثلاً، فينتظر المواطن نشرة الثامنة مساءً لمعرفة رد فعل السلطة الجزائرية عن تلك الأحداث، فمن 10.00 صباحاً إلى غاية الثامنة مساءً، يمكن للمواطن الجزائري أن يعرف كل تفاصيلها عبر الكثير من المصادر و بالأخص عبر مواقع التواصل الاجتماعي، و بكل الألوان الدعائية التي يمكن أن تحملها.

تاسعاً تزويد المواطن بالمعلومات الصادقة وتوضيحها ونقل الصور الحقيقية وعدم تضخيم الأحداث و الحرص على التعامل بشفافية ومصداقية وإخلاص هو من صناعة الرأي العام النافع والمفيد، إذ أن زيادة معرفة الأفراد بمجريات الأمور، يساعد على تحقيق المزيد من القدرة لدى الرأي العام على الفهم والحكم الصحيح على القضية أو القضايا موضوع الرأي وصعوبة خداعه، و بالتالي يكون أسهل لحشده و الاستناد عليه.

عاشراً اتفقت عدة دراسات على أن الاعتماد على مواقع الشبكات الاجتماعية الافتراضية، يزيد من حجم المشاركة السياسية والمدنية للأفراد في الواقع الحقيقي، كما يزيد من وعيهم السياسي وخاصة الشباب منهم، ويعمل على تشكيل رأيه تجاه الأحداث السياسية المختلفة، كرفع مستوى الوعي الأمني لدى الجمهور، والتوعية المرورية، والإرشاد الصحي، والوقاية من الجرائم الأمنية المختلفة، كما يمكن أن تكون مصدر الإضرار بالأمن القومي و التخابر مع جهات خارجية و تشويه صورة رموز السلطة و النيل من الآداب و الأخلاق العامة و الرموز الدينية، لذلك مراقبة ما يحدث في الفضاء الأزرق، لا بد أن يكون بالتوازي مع عملية حشد الرأي العام و تنويره إزاء القضايا التي تُعرض في المجال العام الافتراضي، كما أوضحت دراسة سين أداين و هونري فرال و مارك

لينش، Sean Aday, Henry Farrell, Marc Lynch أن الإنترنت ساهمت في إنجاح الثورات العربية وحشد وتعبئة الرأي العام وخلق اتجاه محابي لها من خلال اعتمادها على الوسائط المتعددة التي تبتث أهم مستجدات الأحداث من الميادين الثورية بمصر وتونس واليمن وليبيا و الجزائر، وأيضا من خلال تنفيذ الأكاذيب التي بنتها وسائل الإعلام التقليدية لتشيويه وتضليل الرأي العام تجاه هذه الثورات²⁶.

ونحن نعتقد أن التوجهات السابقة، يمكن القيام بها عبر ثلاث مستويات تشكل مخرجات كل مستوى مدخلات المستوى التالي، و كل منها يحتاج إلى إستراتيجية دقيقة:

تحليل الآراء السائدة في الفضاء الافتراضي: إذا ما تأكد أن هناك أفكار جديدة تدور في مواقع التواصل الاجتماعي، وأن هذه الأفكار منتشرة في عدد كبير من الجماعات الافتراضية، ويتقاسمها الكثير من مستخدمي هذه المواقع، وإذا كانت هذه الأفكار تثير انفعالات الجماهيرية، و تهيج خواطرهم أو تروج لأفكار خاصة بقضايا حساسة و مهددة لتماسك المجتمع في بناءه، فمن المنطقي أن يكون هناك رد فعل إزاءها و مواجهتها عن طريق عرض أفكار بديلة أو تصحيح لتلك السائدة، أنظر على سبيل المثال* القضية التي كادت أن تؤدي إلى تمظهر الرأي العام في شكله السلبي يوم تم تحطيم تمثال امرأة في وسط ولاية سطيف (عين الفوارة) سنة 2017، فقد احتضنت مواقع التواصل الاجتماعي نقاشات حادة و ساخنة اتجهت معظمها نحو إتهام الإسلاميين من قبل العلمانيين بهذا العمل، ثم تبين أن الفاعل مختل عقليا، إن إخماد و عدم بلوغها حد تكوين رأي عام معبر في شكل مظاهرات و احتجاجات، لم يكون بناء على خطة مدروسة من طرف السلطة، بل كانت من طرف المستخدمين أنفسهم حيث شهد الكثير منهم أن الفاعل بحق مختل عقليا.

نحن لا نقصد بتحليل الآراء السائدة في الفضاء الافتراضي، إلى ما تُوحى به عمليات القمع و المراقبة البوليسية لما يُداع أو يُنشر عبر هذه المواقع، - ما عدا ما تعلق بالتحريض على الجريمة بكل أشكالها و أنواعها - و معاقبة كل من يبدي برأيه حول الشأن العام، كما كان الحال في وسائل الإعلام الجماهيرية في وقت ما، لكن دراسة تلك الأفكار دراسة دقيقة و متابعة تطورها و اتجاهها، من طرف خبراء في مختلف المجالات المعرفية باعتبار أن الرأي العام هو مزيج من أبعاد مختلفة كما جاء ذلك فيما سبق.

إن عمليات متابعة القضايا عبر المنتديات و الجماعات الافتراضية و مجالات المحادثة و المدونات الإلكترونية و مواقع التواصل الاجتماعية الأخرى، ليس بالأمر الهين، فمن جهة تُعد كثيرة في تعدادها و من جهة أخرى متنوعة من حيث أشكالها و طبيعتها و غير ثابتة لنتمكن من دراستها و تحليلها، لكن على الأقل التركيز على تلك من شأنها أن تنقلب إلى رأي عام مؤثر.

نشر أفكار أو مفاهيم جديدة أو تصحيحية: ليس القصد من هذا العنصر، نشر الدعاية بناء على مخرجات المرحلة السابقة، بل نشر أفكار تصحيحية أو تعليلية .. وتكون هذه الأفكار عبارة عن رد فعل إيجابي للأفكار السلبية المنشورة في الفضاء الإلكتروني، فنحن هنا نتحدث عن تسويق الأفكار أكثر من الدعاية لها، بمعنى عرض الأفكار بناءً على قدرتها في إقناع الرأي العام بمدى صحتها أي الأفكار التي من شأنها تحقق معها المشاركة المطلوبة التي تكون نواة لخلق الرأي العام في إطار عملية الحشد، و طرح الأفكار البديلة إنما يتطلب ابتكاراً يساعد على توفير مجموعة من البدائل الابتكارية لعلاج المشاكل²⁷.

لقد نجحت السلطات الجزائرية في تعاملها مع قضية الشاب الذي تم حرقه و التتكيل بجثته في ولاية تيزي وزو الجزائرية عام 2021، حيث وصلت المناقشات حول هذه الحادثة أقصى مستوياتها خاصة بعد عرض فيديوهات حولها و تداولها عبر منصات التواصل الاجتماعي، و لولا تدخل والد الضحية (استعمال الفاعلين)، لكانت

الكارثة في التعبير و ترجمة ذلك الغضب إلى تظاهرات و أعمال ربما تكون عنيفة، خاصة بعدما تأكد أن الشاب بريء من التهم التي نسبت إليه (القيام بحرق الغابات)، كما تم استعمال عقلاء المنطقة للتخفيف من حدة الغضب، و تم كل ذلك عبر مواقع الإنترنت موازاة مع تبني القضية من طرف وسائل الإعلام بمختلف أشكالها.

التحقق من أن نشر تلك الأفكار حقق الغاية المقصودة: القيام بدراسات إمبريقية أو اثنوغرافية حول مضمون أو مستخدم مواقع التواصل الاجتماعي للتأكد أن الأفكار التصحيحية، قد وجدت صدى إيجابي لما ترمي إليها، وتكون تلك الدراسات عبر تحليل العوامل المؤثرة في تشكيل الرأي العام الإلكتروني تجاه القضايا السياسية الحالية، وهذه المتغيرات لا تكون فقط حول مورفولوجيا الأفراد في تعرضهم لمضامين الإعلام الإلكتروني و الاشباع التي يحققونها من مضامينها، بل و كذلك في تمثلات هذا الإعلام بالأفراد، و يكون هذا الإجراء العلمي، عبر الاهتمام بتطبيق الدراسات المعتمدة على السلاسل الزمنية الممتدة لرصد التغيرات في الرأي العام الإلكتروني وتحليل هذه التغيرات وأسباب حدوثها.

إن للخطوات السابقة في عملية حشد الرأي العام، هدفين أساسيين:

- مواجهة الأفكار الثورية التي من شأنها خلق البلبلة و الفوضى، و تصحيحها بتقديم بديل موضوعي مقنع للأفراد المناقشين لها.
- العمل على إبقاء تلك المناقشات في حدود الفضاء الإلكتروني، فإذا تُرجمت إلى واقع حقيقي و انتقلت إلى الواقع، فإنه من الصعب مواجهتها لأنها حققت أهم تطور لبروز الرأي العام و هو التمثيل، أي التعبير و هو أخطر مرحلة من مراحل ظهور الرأي العام.

الخاتمة:

إن عملية حشد الرأي العام وتجنيدده، لا تركز على خطة جاهزة أو عملية يمكن استيراد تفاصيلها من الخارج، لكنها عملية معقدة تحتاج إلى دراسة وتحليل الكثير من المتغيرات التي يعيش فيها المجتمع و يحتكم إليها، والتي تمتد جذورها في مجالات مختلفة، وهي طبعاً تختلف من مجتمع إلى آخر ومن ثقافة إلى أخرى، فالرأي العام الجزائري لا يشبه الرأي العام الأوروبي مثلاً، لا من حيث التكوين ولا من حيث طرق بناءه ولا من حيث أساليب تعبيره، إذ له خصوصياته ينبغي دراستها لحظة بلحظة.

وحتى و إن اعتبر الكثير من المفكرين أن المجتمع الجزائري لم يتجاوز كلياً مرحلة المجتمع التقليدي و لم يندمج بعد في مرحلة المجتمع الحديث، فدراسة عملية الانتقال هذه وصورة الرأي العام الجزائري فيها، تُعد أكثر من مهمة، لأنها المتغير الأساسي في محاولة حشده خدمة لبعض التوجهات الإيجابية في سلوكه.

الهوامش والإحالات:

¹ محمد عبد القادر أحمد، دور الإعلام في التنمية، بغداد: دار الرشيد للنشر، 1982، ص 08.

² JULLIARD Jacques , **La reine du monde: essai sur la démocratie d'opinion** ,Champs Actuel, ed. Flammarion ,2009 p 19.

³ بطرس حلاق، الرأي العام و طرق قياسه، سوريا: منشورات الجامعة الافتراضية السورية، 2020، ص 02.

⁴ Daniel Katz , Dorwin Cartwright , Samuel Eldersveld , Alfred M. Lee. **Public Opinion and Propaganda**. a Book of Readings Hardcover – January 1, 1965, P 50.

الحرية، 1986، ص 19. دار قياسه، بغداد: وطرق الرأي العام إبراهيم رسول، سيكولوجية⁵ خليل

⁶ Gustave Le Bon, **Psychologie des foules**. Paris : Édition Félix Alcan, 1905.

⁷ Op cit, P 12.

⁸ CHAMPAGNE Patrick, **L'opinion publique** ,www.universalis-edu.com. P03.

* لقد طرح بيار بورديو Pierre Bourdieu فكرة أن الرأي العام لا يوجد L'opinion publique n'existe pas و هو في الحقيقة لا يقصد أن ظاهرة الرأي العام لا توجد، بل المقصود أن مفهوم الرأي العام التي تتبناه مراكز سبر الآراء لا وجود له، باعتبار أنه تعريف ينحاز إلى ما تراه تلك المراكز في مجموعة من الأفراد يعبرون عن أفكارهم عند استجوابهم.

, **Les Temps moderne in Questions de** L'opinion publique n'existe pas (Pierre Bourdieu, **Sociologie**, N°84, 1973.

⁹ Allport Floyd Henry. (L'influence du groupe sur l'association et la pensée). **Journal de psychologie expérimentale**, N° 03, 1920, PP 159-182.

¹⁰ جمال مجاهد، الرأي العام و قياسه. الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية، 2010، ص 14.

¹¹ حامد ربيع، مقدمة في نظرية الرأي العام، القاهرة: مكتبة الشروق الدولية، 2007، ص 58.

¹² وسام فؤاد، ماهية الرأي العام الافتراضي، متاح على الرابط :

[Http://Hot-Internet.Blogspot.Com/2012/10/Blog-Post.html](http://Hot-Internet.Blogspot.Com/2012/10/Blog-Post.html)

¹³ حامد عبد الله ربيع، مرجع سبق ذكره، ص 51.

¹⁴ نفس المرجع، ص 24.

* لا يسع المجال لتفسير كل نظرية على حد، أولاً لأنه ليس الغرض من هذا المقال، ثم ما كتب حول هذه النظريات كاف و يزيد فقد يجدها القارئ الكريم في كل المكتبات الخاصة بالإعلام و الاتصال، فقط نريد الإشارة إليها

¹⁵ لقد أشرنا في متن هذا المقال مثال واحد عن كل دراسة، ذلك أننا وجدنا الكثير منها في كل صنف ذكرناه، و هنا يمكننا ذكر بعضها على سبيل الحصر: محمد لمين بوذن، (سوسيولوجية الرأي العام الجزائري بين هيمنة المرجعيات التقليدية و سطو الأنساق الرقمية)، **مجلة روافد**، العدد 05، السنة 2021، العيفة جمال، الاتصال الشخصي و دوره في العمل السياسي. أطروحة الدكتوراه في علوم الإعلام و الاتصال، 2007، مبارك زودة، **بناء الرأي العام و تشكيله في المجتمعات الافتراضية عبر مواقع الشبكات الاجتماعية**، أطروحة دكتوراه، جامعة الحاج لحضر باتنة1: كلية العلوم الإنسانية و الاجتماعية، 2021، مصطفى سحاري، تأثير التدفق الإعلامي الفضائي الأجنبي على السيادة الوطنية الجزائرية. أطروحة دكتوراه، جامعة الجزائر 3، كلية علوم الإعلام و الاتصال 2013، رقاب محمد، الشائعة والرأي العام الافتراضي في الجزائر دراسة وصفية تحليلية على موقع فايسبوك.

أطروحة دكتوراه، جامعة عبد الحميد ابن باديس: كلية العلوم الإنسانية و الاجتماعية، 2021، عابر حفيظة، الحركات الاحتجاجية في الجزائر. أطروحة دكتوراه في علم الاجتماع السياسي، جامعة وهران2: كلية العلوم الاجتماعية، 2018، بن عزة فاطمة الزهراء. الإذاعة المحلية ودورها في تحديد توجهات الرأي العام -إذاعات الغرب الجزائري نموذجاً. أطروحة دكتوراه في علم الاجتماع الاتصال، جامعة أبي بكر بلقايد: كلية العلوم الاجتماعية و الإنسانية، 2017، سميرة بلعربي، (أهمية وسائل الإعلام في تكوين الرأي العام). المجلة الجزائرية لبحوث الإعلام والرأي العام، العدد 01 ، جوان 2020 ، عادل خالدي، دور "فيسبوك" في الحراك الشعبي الجزائري. معهد الجزيرة للإعلام 2022.

¹⁶ حامد عبد الله ربيع، مرجع سبق ذكره، ص 24.

¹⁷ محمد مصطفى رفعت محرم عزت، (الاتجاهات البحثية الحديثة في دراسات الرأي العام الإلكتروني عبر الشبكات الاجتماعية). المجلة العلمية لبحوث العلاقات العامة والإعلان، العدد السادس، بدون تاريخ النشر.

¹⁸ حاتم سليم العلوانة، دور مواقع التواصل الاجتماعي في تحفيز المواطنين الأردنيين على المشاركة في الحراك الجماهيري "دراسة ميدانية على النقابيين في إربد" ، ورقة مقدمة للمؤتمر العلمي السابع عشر بعنوان " ثقافة التغيير .كلية الآداب / جامعة فيلادلفيا، عمان/الأردن، السنة 2012، ص ص 31، 32.

¹⁹ Kevin W. Collins, **Social Network Structure And Peer-To-Peer Political Mobilization: Evidence From Social Network Surveys**, Paper Prepared For The Meeting Of The Midwest Political Science Association, Chicago, 2009, PP1-2.

²⁰ بوعموشة نعيم و بوبكر هشام، (دور شبكات التواصل الاجتماعي في صناعة الرأي العام لدى المواطن الجزائري). مجلة البحوث و الدراسات الإنسانية، العدد 18 السنة 2019، ص 258.

²¹ محمد لمين بوذن، مرجع سبق ذكره، ص 810.

²² حامد عبد الله ربيع، مرجع سبق ذكره، ص 25.

²³ سي موسى عبدالله، الإعلام السياسي والمثقف العضوي في الجزائر. اختبار نظرية وضع الأجندة خلال الحملة الانتخابية لتشريعات 10 ماي 2012، جامعة بشار، الجزائر، ص 13.

²⁴ محمد منير حجاب، أساسيات الرأي العام. القاهرة: دار الفجر، ط1 ، 1998 ، ص 31، 32.

²⁵ Zakaria, Patty. **"From Corruption To Civic Resistance: Pathway To Democratic Transition"** Paper Presented At The Annual Meeting Of The Southern Political Science Association , Georgia , 2009, P2.

²⁶ Sean Aday, Henry Farrell, Marc Lynch & John Sides "Blogs and Bullets: **New Media in Contentious Politics.**". U.S. Institute of Peace Special Report. , 2010 , P 20.

* أنظر الأمثلة الكثيرة التي عرضها كل من زنوح محمد الأمين و رايس ابتسام، في مقال لهما تحت عنوان " الرأي العام الافتراضي و السياسة العامة بالجزائر " في المجلة الدولية للاتصال الاجتماعي العدد 02، السنة 2022، و التي ترى أنها واقعية من جهة و تؤدي الغرض العلمي المطلوب لما تقدمه من أفكار و طرق حشد الرأي العام في الجزائر.

²⁷ عادل حسن، العلاقات العامة، بيروت: دار النهضة العربية، 1984، ص 71.